مقياس : الانتروبولوجيا الرمزية

1/ مفهوم الرمز : من بين اكبر المعضلات التي تواجه الباحث في سعيه الحثيث لفك شفرات الانتروبولوجيا الرمزية , هو تحديد مفهوم الرمز , هذا الالتباس يرجعه بعض الباحثين الى تشعب الموضوع بين الاختصاصات المختلفة سواء في الدراسات الدينية , الفلسفية , التاريخية , النفسية , السوسيولوجية والانتروبولوجية . وكل حقل له مقاربته الخاصة للرمز , وهذا رغم بعض التداخل في المفهوم والذي يجب ان ياخذه الدارس بعين الاعتبار :

1/**مفهوم الرمز** : قبل البدء, وجبت الاشارة الى ضرورة وضع اي مصطلح او مفهوم في سياق تشكله اللغوي والتاريخي , بعبارة اخرى ضرورة تتبع خلفية المصطلح ونشأته زمنيا وفي بيئته الغربية , باعتبار ان الدراسات المختلفة المتعلقة بالرمز نشأت في نطاق الغرب وترعرعت فيه :

( ) بالفرنسية تعني الرمز , وهي ماخوذة من الاغريقية , وهي تعني قطعة من الخشب او الحديد , او اي معدن , تقسم الى نصفين , ويعطى كل نصف الى شخص لتبقى العلاقة خالدة خلود النصفين ( عاشق وعاشقة – دائن ومدين – صديقين ...الخ) , تاريخيا ارتبط استعمال كلمة الرمز في الحضارة الغربية بالعقائد والاديان , انه دليل انتماء الى جماعة دينية , فضلا "عن معنى اقتسام حقيقة دينية لاتوجد الا عن تلك الجماعة , وتبدو هذه الحقيقة غير مرئية ومتعالية الا انها تكون –بصفة وقتية – محسوسة او قابلة للادراك بواسطة قوة الرمز , بعبارة اخرى ان الرمز يقوم بدور استحضار لشئ غائب او مستعصي على الفهم , خاصة في عالم ملئ بالمجردات , الشئ الاخر الذي يسهر عليه الرمز هو التوجه الى الاخر باعتباره مشارك , او جزء من الجماعة القائمة على مصالح الافراد . اننا هنا امام معضلة "الغائب" و "الحاضر" وكذلك "المجسد" و "المجرد" , الانتروبولوجي "جيلبار دوران" حاول انطلاقا من اللغة الالمانية اعطاء قراءة اخرى لمفهوم الرمز , فهو يرى بان ( ) يمثل الجامع بين الازواج المتقابلة , وعلية فالرمز يحيلنا الى :

\*الحس الواعي الذي يدرك الاشياء ويجزئها بدقة .

\*المادة الاولى اي الصورة التي تنبثق من اعماق اللاوعي .

معضلة اخرى تجعل مفهوم الرمز يلتبسه الغموض هو قربه واختلاطه بمفاهيم اخرى جرى العرف على ان تشترك معه في الاشارة الى شئ او مجموعة اشياء على غرار المجاز, الدليل اللغوي والشعار, فالمجاز يقوم دوره في اضفاء الصبغة المادية على الاشياء المجردة , فالعدل قيمة مجردة يشار اليها بالميزان وهو حقيقة مادية مجسدة , وحسب بعض الانتروبولوجيين فالمجاز ينتشر خاصة في الثقافات التي يغلب عليها الطابع الشفهي , في حين الرمز ليس شئ منعزل عن واقع وسياق , بل بالعكس ليفهم الرمز يجب ان يوضع في سياق ثقافته التي نشأ فيها , اننا لايمكننا ان نفهم رمزية واقعة او حدث ما دون الغوص في ظروف الماقبل "الرمز" لان الجماعة هنا هي التي تمنح الرمزية لشئ ما عبر مجموعة طقوس تلجأ اليها وقت الحاجة . واذا كان هذا الكلام يريد ان يربط الرمز بشئ قد يبدو معروفا , فان العالم النفساني "كارل يونغ" يرى ان مكانة الرمز تكمن في تعويض شئ غير معروف من قبل الانسان , او على الاقل في جزء من هذا الشئ , " انه صورة محتوى يتعالى –في قسم كبير منه – عن الوعي ". واذا كان "يونغ " من الذين اقاموا فرقا واضحا بين الدليل اللغوي والرمز , باعتبار ان الدليل اللغوي هو دائما اقل دلالة من المتصور الذي يمثله , مقابل اتساع مفهوم الرمز وتعديه لمعناه الفوري الذي يمثله في الحاضر , فان "جيلبار دوران" يعرف الرمز بانتمائه الى فئة الدليل اللغوي ,لان جل الدلائل اللغوية بمدلول يمكن معاينته والتثبت من صحته , بينما الاشارة دالة فقط على حضور الشئ الذي تمثله . اي ان الرمز حسب هذا المنظور دالا ومدلولا فالدال في الرمز يحمل صفة الانفتاح على اشياء غير مصورة حتى وان بدا في ظاهرها جزء من التناقض . من ذلك مثال النار حيث "النار المطهرة " "نار الجحيم " "نار الجنس" ...الخ اما المدلول فهو مبثوث في العالم المعاين : في المياه , النبات والحيوان ...الخ .(بسام الجمل : من الرمز الى الرمز الديني ص 19) وبخصوص العلاقة بين الرمز "والشعار " فانها تقوم على مبدأ الاختلاف , ذلك ان الشعار صورة مرئية اتفقت الجماعة على ان تشير به الى شئ معين , مثل اعتبار العلم كشعار للوطن , اننا هنا امام سلطة الجماعة ودورها في اعطاء الهوية للاشياء , دون ذلك يصعب التواصل المستمر بين الافراد سواء في المكان او الزمان .

**2/خصائص الرمز :** استمد الرمز جزء من اهميته في الدراسات الانسانية من خصائصه المختلفة :

**\***المرونة التي يتسم بها .

**\***متعلق بالوجود الانساني .

**\***المعقولية الخاصة , ومنطقه الداخلي .

**\***القابلية للتحيين .

\*توزع الرموز بين ان تكون كونية ا وان لاتكون كذلك .

3/**الخلفية الفلسفية والتاريخية للرمزية :** وجبت الاشارة الى ضرورة التمييز بين الممارسة الرمزية في الاداب والعلوم المختلفة , وبين ظهور المدرسة الرمزية بمنهج ورواد هذا من ناحية , ناحية اخرى متعلق بالرمزية كتوجه او كنظرة الى الحياة بصفة عامة لم تخرج من الاطار العام الذي نظر اليه الى الحياة في حقل الدراسات المختلفة ( بما فيها الدراسات غير الغربية ) اقصد هنا ذلك التوجه الذي نشأ مع الاغريق وتمييزهم الواضح بين الجسد ( الذي ينتمي الى عالم المادة ) والروح ( الذي يتسامى عن هذا العالم ومرتبط بالذهن ) انه يرمز الى النقاء والفضيلة (بتعبير افلاطون) . شيء اخر متعلق بارتباط الرمزية بفكرة "الصورة" التي حاول الاغريق التنظير لها , واعطائها مكانتها الطبيعية في حقل ملكات الذهن , هنا نتذكر ذلك السجال "الافلاطوني ""الارسطي" حول تشابك الذاكرة والخيال , في هذا الاطار يقول "بول ريكور" ان المعضلة التي يطرحها تشابك الذاكرة والخيال قديمة قدم الفلسفة الغربية , لقد اورثتنا فلسفة سقراط حول هذه المسألة موضعين متنافسين ومكملين لبعضهما , الاول افلاطوني والثاني ارسطي , الاول مركز على قيمة الصورة او الايقونة , ويتكلم عن التصور الحاضر لشيء غائب , وهو يدافع ضمنا عن ادخال اشكالية الذاكرة في اشكالية الخيال . اما الثاني المركز حول تيمة تمثل شيء ما سبق ادراكه او اكتسابه او تعلمه , فيدافع عن ادخال اشكالية الصورة في اشكالية الذكرة " ( بول ريكور : الذاكرة التاريخ النسيان ص 36) ان "ريكور" هنا يضعنا في الاشكاليات التي خاض فيها جل علماء الانسانيات الذين حاولوا فهم طبيعة الرمز وعمله في الواقع وفي الذهن الانساني , بعبارة اخرى فالتشعب في الفهم الذي تكلمنا عنه سابقا يعود في الاساس لتشعب مجالات النظر في الرمز , وحدود الاحاطة به . والتي ستستمر الى العصر الحديث مع ذلك الاختلاف في النظر الى علاقة الرمز بالمحيط الذي ينشأ فيه ’ بعبارة اخرى علاقاته بالافراد والجماعات ( وهو موضوع اساسي اخر من مواضيع الانسانيات ) , نتكلم هنا بالتحديد عن "بيرس" و " فردناند دوسوسير" واسهاماتهما في علم اللغة خاصة فكرتي الدال والمدلول .

**4/نظرية الفعل الاجتماعي :** تميزت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بسيطرة شبه مطلقة للفكر الدوركايمي بنزعته الوضعية , وبحثه عن ايجاد قوانين ثابتة للظواهر الاجتماعية على غرار تلك الثورة التي حدثت في العلوم الاخرى , انه استمرارية لاوغست كونت بشكل اخر . في ضل هذا الوضع برز "ماكس فيبر الالماني"(1864م -1920م) الذي حاول النظر الى الظواهر الاجتماعية من زاوية اخرى متأثرا بفلاسفة المثالية الالمان الذين سبقوه , وكذلك بخلفيته الدينية التي عاشها في اسرته والتي كونت عنده نظرة اولية الى الحياة التي حسبه "ليست متعلقة بالاشياء المادية" فحسب "او "بالبنى التحتية " كما كان يعتقد ماركس , بل باشياء ذهنية خالصة هي التي تضفي معاني على الاشياء وتعطيها هويتها الخاصة , لقد وضع قدمه في الساحة الفكرية العالمية بكتابه عن البروتستانتية والليبيرالية التي انطلق من فرض مؤداه ان نمط التدين يؤثر على نظرة الانسان الى الاشياء المادية , والاكثر من ذلك ان هذه الحياة التي نعيشها كلها عبارة عن رموز يتشارك فيها الانسان مع جماعته المباشرة وغير مباشرة , لقد شبهها "بشبكة العنكبوت" , واضعا علم الاجتماع في قلب عملية الشرح والفهم للفعل الاجتماعي من اجل الوصول الى التفسير السببي لحدوث الفعل واثاره , مركزا على السلوك الاجتماعي وضرورة الفهم الموضوعي للقيم الاجتماعية في تطورها التاريخي وتأثيرها على المجتمع . كل هذه المفاهيم حاول ماكس فيبر صياغتها في ماعرف بنظرية الفعل الاجتماعي الذي عرفه " بصورة السلو ك الانساني الذي يشتمل على الاتجاه الداخلي والخارجي " و يربطه بقصدية الفعل والسلوك عند الفاعل سواء لحظة القيام به , او الاحجام عن الفعل , ولفهم هذا السلوك او الظواهر الاجتماعية يؤكد فيبر على بعدين : \*البعد الفردي للسلوك .

**\***البعد الجماعي للفعل المرتبط بارادة الجماعات البشرية .

هنا في الظاهر يبدو الموقف الضبابي الذي يتبناه فيبر حول مكانة الفرد والجماعة , لكن هذا الضباب ينقشع عندما نقرأ جل اطروحة فيبر ورؤيته الى الى الحياة ومعانيها باعتبارها شبكة رموز تسمح للفرد بالتحرك الذاتي لكن في اطار الجماعة التي يشاركها في معاني العيش . اننا لكي نفهم السلوك الانساني يجب وضعه- كما يؤكد فيبر - في اطاره العام الخاص بالجماعة , ومن وجهة نظر الفرد كعضو في الجماعة ّ, انه يقف هنا في منطقة الوسط بين الاتجاه الشمولي الكلياني , والاتجاه الفردي .

ركز كذلك" فيبر" على المعنى الذي يضفيه الافراد على افعالهم , ان هذه القصدية في الفعل تجعل كل الفعل الاجتماعي عبارة عن سلوكات مرتبطة بالدافعية التي تحرك "الفاعل الفرضي ". ولتوضيح نظرية "الفعل الاجتماعي" حدد "فيبر" انواع الفعل المختلفة الصادرة عن الافراد :

\*الفعل المرتبط بقيم مطلقة ( يكون الفرد هنا محكوما بايمانه بقيمة الفعل بغض النظر الصالح الخاصة ).

\*الفعل المرتبط بوسائل وغايات واضحة ( هنا تطغى العمليات العقلية الحسابية على العملية برمتها حيث تكون البداية والنهاية واضحتان ).

\*الفعل المرتبط بالوعي الجمعي الخاص بالاعراف والتقاليد ( حتى يتحول الى استجابات الية , هو فعل شبيه بالهابيتيس" الذي نظر له بيير بورديو فيما بعد ).

\*الفعل العاطفي الصادر عن حالات انفعالية ظرفية , اكثر منها حالات عقلية .

ماكس فيبر ليس الوحيد الذي نظر لما يعرف بالفعل الاجتماعي , "تالكوت بارسونز " الامريكي هو الاخر حاول تفسير الظواهر الاجتماعية وفق نظرية الفعل الاجتماعي والتي افرد لها مؤلفا كاملا حاول فيه ان يشرح مالذي يعنيه بالفعل الاجتماعي , والمتمعن في جل اعماله يدرك تاثره بدوركايم خاصة اولية ارادة الجماعة على ارادة الفرد , وتأثره كذلك بماكس فيبر في مفهومه المتعلق بالمعنى وطريقة النظر الى الظواهر الاجتماعية .

فالفعل الاجتماعي عند بارسونز هو الوحدة الاساسية والاولية للحياة الاجتماعية , وهو يقوم بدور الصلة بين الافراد والجماعة البشرية , بما انه سلوك ارادي لدى الانسان لتحقيق هدف محدد وغاية معينة , ولتكتمل صورة هذا الفعل او السلوك وجبت شروط معينة :

\*بنية الفاعل بخصائصه وسماته .

\*موقف يحيط بالفاعل ويتبادل معه التأثير .

\*القيم الاخلاقية التي تدفع الفاعل الى القيام بهذا الفعل او ذاك.

ان خاصية فكر بارسونز تكمن في نظرته الى الفعل الانساني باعتباره منظومة اجتماعية متكاملة يسهم كل عنصر من عناصرها في تكوين الفعل . كما حاول وضع احاطة السلوك الانساني بمجموعة منظومات تحدد طبيعة الفعل والسلوك الانساني : \*المنظومة العضوية ( الخصائص والسمات العضوية للفاعل التي تسمح له بفعل هذا , او عدم سلوك هذا الاتجاه وفق استعداداته العضوية ) \*المنظومة الشخصية ( مرتبطة بشخصية الفرد منها قوة التاثير والتحمل ...الخ )\*المنظومة الاجتماعية ( جملة التفاعلات التي يقيمها الافراد مع بعضهم البعض بحسب موقعهم في المنظومة الاجتماعية )\*المنظومة الحضارية ( وضعها بارسونز في اعلى السلم وهي مرتبطة بالجانب الاخلاقي , وصلاحية الفعل من عدم صلاحيته ) .ان الملاحظ على نظرية الفعل الاجتماعي "لتالكوت بارسونز" هو تركيزه على الجانب النفعي من الفعل , وعلى الجانب الغائي , بعبارة اخرى كل فعل اجتماعي يرجى منه غاية .

**5/ التفاعلية الرمزية :** قبل ان يتلقفها الانتروبولوجيون كانت التفاعلية الرمزية في حضن الفلاسفة في مدرسة شيكاغو , نتكلم هنا عن "جورج ميد" والسوسيولوجي "بلومر" مؤلف كتاب "التفاعلية الرمزية " والتي لم تكن في جزء منها الااستمرارية للمدرسة التبادلية" لبيرس" "وديوي" والتي تركز على الاولوية الانتولوجية للفعل على الفكرة في حد ذاتها انها فكرة معاكسة تماما لماجاء بها دوركايم حول مكانة الطقوس والتمثلات وتراتبيتها .في حين ارتبطت المدرسة التفاعلية الرمزية في الانتروبولوجيا "بأرفينغ غوفمان " (1922م -1982م) الذي برز مع بداية الخمسينات من القرن الماضي خاصة بكتابيه ( تمثيل الحياة اليومية ج 1+2) و (طقوس التفاعلية ) , وينتمي غوفمان الى الجيل الثاني من مدرسة شيكاغو السوسيولوجية التي ابدعت منذ العشرينات من القرن الماضي في الدراسات الميدانية . ان نظرة غوفمان الى الحياة الاجتماعية تتميز بالتفاعل بين الافراد انطلاقا من رموز متعارف عليها , يتربى عليها الانسان منذ الصغر انطلاقا من طقوس يومية تصبح جزء من معاشه . ان فكرة الطقس استقاها من الفلسفة الدوركايمية حيث جردها من علاقتها بالالهة , وانزلها الى الحياة الحضرية اليومية بكل متغيراتها , انه يعرف الطقس "**على انه فعل تقليدي ومتفق عليه , بواسطته يظهر الفرد احتراما وتقديرا لموضوع يكتسي قيمة , او للذي ينوب عن هذا الموضوع ". ,** لقد بدأ "غوفمان " التنظير لفكرة التفاعل انطلاقا من مناقشته لمذكرة التخرج سنة 1953م والتي كان فضاءها فندق صغير في اسكتلندا وحاول فيها ملاحظة العلاقات بين الزبائن من جهة والموظفين من جهة اخرى , بعد ذلك خصص عدة سنوات في دراسة العلاقات وملاحظتها بين المرضى والطاقم الطبي , باختصار لقد خصص "غوفمان" كل اهتماماته الاكاديمية للفعل التواصلي بين البشر محاولا فهم طبيعته , ودوافعه , كما ان الاشياء التي حركته هو الهم اليومي , والتفاعل البسيط بين الافراد القائم على رمزية يعلمها المحيط لافراده منذ الميلاد , او لنقل هي عبارة عن شفرات يدرك الفرد معناها انطلاقا من التواصل اليومي , انها فكرة مستوحاة من جورج ميد عبر ماسماه بالاقتداء ( ) والتي يرى فيها بان الفعل لايولد من الاقتداء , بل الاقتداء هو الذي يولد من الفعل , واعطى" ميد" مثالا بالولد حين يقلد والديه ليس من اجل ان يتعلم كيف يتصرف , بل ليلاحظ نفسه وهو يقلدهم **,** بعبارة اخرى ليتقمص دور الابوين , ان الفعل هنا يدور حول نفسه . انناهنا في جانب طقوسي معتمد على التكرار وبافعال تأملية . شئ اخر حاول غوفمان التركيز عليه للخروج من سجال الفرد والمجتمع هو مفهوم الشخص ( ) والذي يعني باللاتينية القناع الذي يظهره الفرد الى الاخرين , "وفي داخل هذا القناع لايوجد شئ سوى الفراغ , حتى الفرد لايستطيع ادراك داخله , اوادراك الجماعة التي ينتمي اليها , هناك فقط مسار لتبادلات اعتباطية تتميز بالمخاطرة " **( كاك غوفمان ص 10 )** هذه المخاطرة متأتية من المقابلة وجها لوجه , "حيث يكتشف ان وراء هذا القناع لايوجد شيئا **,** فقط "انسان حيوان "خائف وضعيف ". فقط وجبت الاشارة الى ان فكرة القناع ليست اصيلة في فكر غوفمان , لقد استوحاها خاصة من اعمال "مارسال موس" . ربما المؤلف الذي يعبر عن حقيقة" الفكر الغوفماني" هو كتاب "تمثيل الحياة اليومية " والذي حاول فيها اسقاط مايحدث في التمثيل على واقع الحياة , فالفرد وهو يقوم بالدور يجب عليه احترام ادوار الشخاص الاخرين , في غياب هذا الاحترام عملية التمثيل تصبح مستحيلة , ويدخل المجتمع مرحلة القطيعة التي يؤدي الى ازمات .ان "احترام الشيفرة او الكود" وتقمص الدور بطريقة صحيحة هو الذي يسمح باستمرارية التفاعلات الاجتماعية بافضل صورة ممكنة . باختصار لقد شكل التمثيل بمفرداته خزانة مفاهيمية كبرى لغوفمان لتوضيح نظرته الى الحياة اليومية (الدور – الستار- الكواليس- الفريق –التمثيل- الديكور...الخ) كل هذا عبر تفاعل ورموز متفق عليها ضمنيا بين الافراد المشكلين للجماعة الكبرى .

**6/ليفي ستراوس ونظرته الى الرمز :** يدينليفي ستراوس بالفضل في كتاباته الى فردناند دوسوسير ومساهماته حول اللغة خاصة فكرة الدال (الصوت او المكون الصوتي للغة) وفكرة المدلول ( المكون الذهني او مايتبادر الى الذهن عند سماع كلمة ما) , وكذلك فكرة المتزامن والمتعاقب والتي حاول ليفي ستراوس تطبيقها في تحليله للاساطير باخراجها من اطارها التاريخي والنظر اليها كوحدات لايمكن فهم الواحدة منها الابفهم الاخرى , انها مستقلة عن بعضها لكن تشكل كل متكامل . لقد استقى ليفي ستراوس هذا الاهتمام بعالم الرموز من مارسال موس الفرنسي لكن بطريقة اخرى حيث يقول ليفي ستراوس في هذا المجال " ان "موس" اعتقد بامكانه وضع نظرية اجتماعية للرمزية , وعوض ذلك كان عليه ان يبحث بصورة واضحة عن اصل رمزي للمجتمع " بعبارة اخرى انه يريد ان يؤكد على الطابع الرمزي لجل الثقافة الانسانية , بل اساسها الرئيس هو عالم الرموز , في هذا الاطار "فان الظواهر في التفاسير التقليدية للرموز , سواء منها الشائعة بين الناس او الباحثين , تدرس فرادى ويفسر كل منها اما اعتسافا او حسب فكرة مسبقة عما يجب ان يعنيه الرمز . ولكن عندما يحاول المرء اعطاء وصف لاتتحكم فيه الاهواء , فانه لن يجد طريقة يقرر بها لكل ظاهرة منفصلة اي صفة من صفاتها ستبرز في ثقافة من الثقافات . اما اذا درست العلاقات بين الظواهر بدلا من ذلك فان الصفات المشتركة او المتعارضة ستبرز باعتبارها اساس الارتباطات الرمزية . وكلما زاد عدد الظواهر المتصلة بعضها بالبعض الاخر قل عدد الصفات التي يحتمل ان تلعب الدور : اي ان على المرء ان يدرس ليس الرموز وحدها بل نظم الرموز "( جون ستروك : البنيوية ومابعدها ص 38) بعبارة اخرى فان ليفي ستراوس ينطلق من افتراض بان الذهن البشري قادر على فرض نوع محدد من النظام على طريقة تمثيله للعالم وميال الى فرض هذا النظام , فهو يرى بان بنية هذه النظم الرمزية باعتبارها تصنيفا تحدده قدرة الانسان بعامة , لاعجز البدائيين من بني البشر . 7/**تأويلية كليفورد غيرتز :** ظهر غيرتز في مرحلة فاصلة في الفكر الانتروبولوجي بين التقليدي والحديث , نال شهرته خاصة من كتاب "تأويل الثقافات " التي حاول فيه توضيح نظرته الى العمل الانتروبولوجي , مركزا على مفهوم الثقافة والذي حاول فيه اعادة الاعتبار له , وتكسير الخروقات التي لحقت به خاصة تعريف ادوارد تايلور 1871م "ذلك الكل المركب" والذي اعتبره غيرتز ضرب من المغالطة والتعميم , فالثقافة حسبه هي "عالم من الرموز" وهو تعريف اخذ جزء منه من مفهوم فيبر للثقافة , وبالتالي تكمن مهمة الانتروبولوجي في تفكيك شيفرة هذه الرموز عند الثقافات المختلفة , "لاتوجد هناك ثقافة واحدة , هناك ثقافات مختلفة " هي عبارات صاغها غيرتز للتركيز على مفهوم النسبية الثقافية , وبالتالي لاتوجد حقيقة , هناك معاني وفقط تضفيها الجماعات والافراد على افعالها , وماعلى الانتروبولوجي سوى القيام بفعل التأويل انطلاقا من عملية "الوصف المكثف" مركزا على التفاصيل الصغيرة التي يمكن بواسطتها الوصول الى المعاني الكبرى للحياة , في هذا الاطار يقور غيرتز في كتابه تأويل الثقافات " ان الثقافة بما هي شبكة من انظمة الاشارات القابلة للتفسير والتاويل , ليست قوة قاهرة , وليست شيئا تعزى اليه سببيا احداث مجتمعية او سلوكات او مؤسسات اجتماعية او سيرورات عملية , بل هي نسق يمكن من ضمنه اجراء توصيف كثيف قابل للفهم لهذه الاشياء " ( كليفورد غيرتز : تأويل الثقافات ص 98) ان القراءة التي يقدمها الانتروبولوجي – حسب غيرتز – لثقافة ما , ماهي الا تأويل من درجة ثانية او ثالثة , فالتأويل الذي يفضله غيرتز هو تأويل ابن البلد الذي عاش في قلب هذا المجتمع وثقافته , وبالتالي فالرمز يستمد هويته من المجتمع الذي نشأ فيه , صحيح –يقول غيرتز –اننا نستطيع ان نقرأ ونتعلم الرموز المختلفة للثقافات والمجتمعات , لكن هذا لايجعلنا ابناء لتلك المجتمعات , صحيح ان هذا الفعل يقربنا لكن يبقى سر كل ثقافة في ذاتها . ان تأويلية غيرتز اتت كرد فعل على بنيوية ليفي ستراوس التي سيطرت في الخمسينات والستينات على الساحة الفكرية , واهملت الفرد عندما اعطت السلطة العليا للنص وبنيته , فحقيقة النص- يقول البنيويون- توجد في داخله , ولادخل للمتلقي فيها .ابلتأويلية اعادت الروح للقارئ عندما اعطت له حرية التأويل , واعادت الروح للتاريخ عندما ركزت على السياق العام لنشأة وتطور الثقافات . ان نشأة الرمز في ثقافة ما مرتبط بالظرف والقائل والمتلقي بدرجة اقل , فلفهم الغمزة –وهو المثال الذي صاغه غيرتز- وتمييزها عن الحركة البيولوجية يجب ان يكون الانسان قد عاش في هذا البلد ويعرفه اسرار ثقافته وخزانته الرمزية , يقول في هذا الاطار " فالغامز بغمزته يقوم بعمل تواصلي موصوف وهو يقوم به بطريقة محددة وخاصة : 1/الغمزة عمل متعمد , وهو 2/موجه الى شخص محدد 3/وهو يبعث برسالة خاصة 4/يتماشى مع كود (رمز او شيفرة ) اجتماعي متعارف عليه 5/ يتم من وراء ظهر الاشخاص الموجودين . انه بهذا المثل الواقعي المجسد يضعنا في صلب الحياة الرمزية للمجموعات والافراد , انه يركز على منهج التوصيف الكثيف الوحيد القادر على نقل التفاصيل الصغيرة التي تفيدنا الى الولوج الى عالم الرموز الفسيح .

النسق الثقافي ""مصطلح اخر اتكأ عليه غيرتز لتأويل الحياة الاجتماعية , ويتميز هذا النسق بفعل الجبر ’, او لنقل بانه يشبه خارطة طريق للجماعة الانسانية التي ترى الحياة انطلاقا من هذه الانساق , والتي هي في الاساس عبارة عن مجموعة رموز , فالدين , اللغة , عبارة عن انساق ثقافية تتبادل السيطرة في المجتمعات من مرحلة لاخرى فالدين يكون في بعض الفترات نسق ثقافي مهيمن من درجة اولى , وفي بعض الفترات الاخرى يكون مهيمن من درجة ثانية او ثالثة انه يقابل فكرة البنى الفوقية التي صاغها كارل ماركس تمييزا لها عن البنى التحتية التي اعطى لها ماركس جل السلطات في رسم التاريخ . النسق الثقافي الغيرتزي يأتي في مرتبة وسطى فهو مكون ومكون , بعبارة اكثر دقة فهو مكون للتمثلات , ويتشكل هو نفسه انطلاقا من هذه التمثلات , وبالتالي فالاسبقية الانتولوجية للانساق الثقافية وعلاقتها بالمجتمع غير مطروحة على خلاف المدارس الاخرى .

**8/ الرمز عند بيير بورديو :** يعتبر بيير بورديومن اهم المفكرين الذين تركوا بصمتهم على السحة الفكرية العالمية , وهذا مرده في اعتقادي الى سببين : فكره الموسوعي من الفلفسفة , السوسيولوجيا , الانتروبولوجيا , علم الاتصال وهلم جر , النقطة الثانية تكمن في شخصيته التي امنت بجل الافكار التي طرحها , ولم تبق مجرد مثاليات تتقاذفها الكتب وقاعات الجامعات , لقد نزل الى الشارع ودافع عن الفقراء , المعوزين والمهمشين الذين نظر لهم في كتبه . ان تقريبا كل المقاربة البورديولية تتمحور حول الحقل والفضاء الاجتماعي كمكان للسيطرة ليس فقط الواقعية بوسائلها المادية , بل كذلك السيطرة الرمزية , والتي خطورتها –حسب بورديو- اقوى من الاولى , لانها تتغلل الى الذات المعذبة وتقنعه بمجموعة تبريرات يعتقد بان هذا هو الحال , نتكلم هنا خاصة عن الهيمنة الذكورية , او رمزية الصراعات في مجالات التربية . لقد شكلت الحقول الرمزية مجالا لبحث بورديو , وفرصة لاستعراض وجهات نظره عبر تفكيك البنى الاجتماعية التي تعمل في صالح المسيطرين .انه عمل على سؤال متعلق بكيف تشكل الثقافة هذه البنى الاجتماعية حتى تصبح عندها السيطرة فعل مبرر ؟ فقط وجبت الاشارة الى ان بيير بورديو , وتقريبا في كل مؤلفاته لم يتكلم عن الرمز بصيغة المصدر , بل استعمله فقط كصفة تتبع الموصوف , نجد هذا عندما تكلم عن العنف الرمزي , او الرأسمال الرمزي . ان نظرة بوردي والى العالم الاججتماعي تتلخص في انه مجموعة من الدلالات والمعاني التي هي في الاساس من صنع الفاعلين الذين هم تحت الجبر , وفي احيان كثيرة بصورة لاواعية , تعمل فيها السلطة الرمزية فعلتها , بعبارة اخرى فمايسمى بالرمزي عند بورديو هو جملة تمثلات تعمل على ان يبدو الوضع وكانه طبيعي او منطقي . كما ركز بورديو على دور البنى الرمزية في الحفاظ على الارتباط الاجتماعي , وهي نفس الطرح الذي تبناه قبل ذلك كل من دوركايم ومارسال موس . نقطة اخرى توقف عندها بورديو هو مايسمى بالوقائع الرمزية التي تعبر عن بنى داخلية , لكن ليس بمفهوم ليفي ستراوس , بل بنى تستمد تكوينها من منطق خارجي متعلق بالمصلحة , ومجموعة القيم التي تعتبر اساس التبرير لفعل السيطلرة .

ان عنصر الجدة الذي اتى به بورديو في حقل الدراسات السوسيولوجية والفكرية بصفة عامة , هو خروجه من جدلية اولوية المادي و المثالي , او لمن افضلية التكوين للبنى التحتية او الفوقية –بتعبير مركس- , لقد وجد الاجابة التي اقنعت الكثيربين بالوقوف في الوسط , ان السلطة الرمزية لم تصبح تمثلا الا عبر وسائل مادية واقعية تستمد شرعيتها من ظروف تشكلها .